الحضارة الاسلامية الإسلامية

محاضرة رقم (٥)

واقع العالم الإسلامي من الناحية الفكرية ، الحركات الهدامة

-الفكر ركيزة هامة في حياة الأمم ودليل على حيويتها وتقدمها أو على جمودها وتخلفها في جميع المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

-وتعتبر وحدة الفكر من أبرز ظواهر التاريخ الإسلامي ، فقد انتظم مختلف وحداته ودوراته وموجاته فكر واحد وثقافة واحدة ، بقيت الربط المشترك الأعظم بينها مهما اختلفت أقطارها ودولها وأنظمتها . هذا الفكر هو روح الجماعة الإسلامية والمحرك الأساسي والقالب الذي تشكلت فيه مختلف القيم والمفاهيم والتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

- ولعل أبرز ما يتمثل في الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية هو :

- **الأصالة :** فقد قام الفكر الإسلامي على التوحيد والنبوة والمساواة والعدل . وهي أسس جديدة خاصة بالحضارة الإسلامية لا صلة لها بالحضارات المادية السابقة للإسلام – السريانية والفارسية والرومانية واليونانية والهندية .

-ولقد أدرك الأوروبيون وفي وقت مبكر ما للفكر من أهمية في صراعهم الحضاري مع المسلمين ولمسوه يقينا بما ترتب على نتائج الحروب الصليبية – لمسوا يومها أن انتصارهم العسكري لم يجدهم شيئا أو يبق لهم وجودا في الأمة الإسلامية بعد أن دحرهم صلاح الدين ومن بعده ، ولذلك اتجهوا إلى أفكار الإسلام فانكبوا على الفكر الإسلامي فترجموه وقاموا بدراسته وتلخيصه فكانت أولى أعمالهم ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية وبعدها فتح باب الدراسات الإسلامية والعربية عندهم على مصراعيه

- فكانت حركة الاستشراق التي مهدت لهم طريق الاستعمار فيما بعد . هكذا عمل الأوروبيون على اكتشاف الفكر الإسلامي وترجمته من أجل إثراء ثقافتهم فقادهم ذلك إلى حركة النهضة الأوروبية وساروا فيها أشواطا . ثم عملت أوربا على كشف الفكر الإسلامي مرة أخري لهدف سياسي لتضع خططها الرامية للسيطرة على بلاد الإسلام مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية من ناحية ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه هذه السياسة في البلاد الإسلامية لتسيطر على الشعوب الخاصة فيها لسلطانها . ومن هنا بدأ يظهر الأثر السلبي للإنتاج الاستشراقي الفكري الذي كتب عن المسلمين وأحيانا بالعربية ليمارس دور التخدير أو الالهاء ليبقى العالم الإسلامي خلوا من أي توجيه أصيل.

- هذا الأسلوب هو ما نسميه : **بالغزو الفكري** : وهو الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام مما يتعلق بالعقيدة وما ينبثق منها من أفكار وتقاليد وأنماط حياة وهو من شعب الجهد البشري المبذول ضد عدو ما لكسب معارك الحياة منه ولتذليل قياده وتحويل مساره وضمان استمرار هذا التحويل حتى يصبح ذاتيا إذا أمكن ، وهذا هو أقصى مراحل الغزو الفكري بالنسبة للقلوب وإن كان في الوقت نفسه هو أقصى درجات نجاح الغزاة . وسلاح هذا الغزو : الفكرة ، والرأي والحيلة والنظريات والشبهات وخلابة المنطق وبراعة العرض .

- ويتميز الغزو الفكري بالشمول والامتداد فهو حرب دائبة لا يحصرها ميدان ، بل تمتد إلى شعب الحياة الإنسانية جميعا ، وتسبق حروب السلاح وتواكبها ، حتى تستمر بعدها لتكسب ما عجز السلاح عن تحقيقه ، فتشل إرادة المهزوم وعزيمته ، حتى يلين ويستكين ، وتنقض تماسكه النفسي حتى يذوب كيانه ، فيقبل التلاشي والفناء في بوتقة أعدائه ، أو يصبح امتدادا ذليلا لهم .

- وقد دمغ الله سبحانه وتعالى قادة هذا اللون من الحرب بأسماء وصفات غاية في النكارة ، مثل : الشياطين ، السفهاء ، المعوقين ، المرجفين أكابر المجرمين ، وأئمة الكفر ، والذين في قلوبهم مرض .

- كذلك سمى هذا اللون ذاته بصفات أساليبه الخسيسة ونتائجه الخبيثة مثل : زخرف القول ، الغرور ، الخبال ، الفتن .

- وعمل المستعمر على نقل المعركة بين أبناء البلد المغلوب على أمره ، بأن استخدم من تربى في معاهده ، ومن قلده فأثارهم ضد دعاة الفكر الإسلامي في بلادهم ، فتحول الأمر إلى صراع داخلي ، أثار الفوضى ، وسرب في غمرته الأفكار الهدامة ، وزرع اليأس في نفوس دعاة الفكر الأصيل من إمكانية التغيير . بذلك حاول الغرب والمتغربون تعطيل النشاط الفكري ، فبقي النشاط السياسي بالتالي أعمى والأفكار دون جدوى .

- **وحتى يتم تعطيل دور المفكر فقد عمل الاستعمار على** :

- أ- تنفير الرأي العام من أفكاره بجميع الوسائل المتاحة للاستعمار .

- ب- تنفيره هو نفسه من القضية التي يكافح من أجلها بإشعاره بعبث كفاحه .

- فيخلق المستعمر بهذه الطريقة نمطين من المواجهة لأي مفكر يريد أن يدخل حلبة الصراع لمواجهته ، حين يستغل إمكاناته الضخمة الإعلامية والثقافية وعملاءه في السر والعلن لكي يحارب شخصا وعى مشكلات بلاده ، وأراد أن يوجهها بأسلوب سليم ، بدايته وضع الأسس الفكرية ، واستقطاب الناس حولها ، وكثيرا ما تحاول حكومات بلاده التعتيم على ما ينشره أو يقوم به ، وتزداد معاناته حين يواكبه قومه باللامبالاة ، ويواجه بالأفكار المصدرة الملونة بالأحمر أو الأزرق ، ولكنها في مضمونها تحمل القناعات الاستعمارية القديمة برداء الحرية والإخاء والمساواة ، أو الماركسية والاشتراكية .

- وبهذا عمل الاستعمار على تحطيم المعنويات الإسلامية وبقية الروح الإسلامية التي يستند إليها وجود الأمة التاريخي بملامحها الخالدة المميزة له .

- وقد شهد العالم الإسلامي تغيرات فكرية في عهد الجمود ، وقبل انهيار الخلافة العثمانية ، فنشطت دعوة المفكرين للعودة إلى الإسلام والتكتل الإسلامي ، أي فكرة الجامعة الإسلامية ، وإصلاح أوضاع المسلمين وعقيدتهم كدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد ، والدعوة السنوسية في ليبيا ، والمهدية في السودان . والدهلوية في الهند .

- وبعد انهيار الخلافة العثمانية عام ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م ، واجه الغرب الصليبي والشيوعية ، والصهيونية الأمة الإسلامية بالتحدي الكبير فنشط الاستشراق و التبشير.

- والمنحرفون من الأمة نفسها ، وأصبحوا في حل من القيود ، يعبثون كما شاء لهم العبث ، وأخذت أفكارهم بما أوتيت من دعاية منظمة ، تجد هوى وتأييدا لدى العامة لتصبح رأيا عاما باسم التقدمية ، والنهضة ، والإصلاح ، ومقاومة الاستعمار ، وقامت مدرسة فكرية جديدة بين المسلمين ترمي إلى تقريب الشقة بين تعاليم الإسلام .

- وأطلت رؤوس الأفكار المنحرفة بدون حاجز وبحرية كاملة ، بما يملكونه من وسائل نشر ودعاية وإعلان ووظائف عليا وحراسة فدخل الفكر القومي والوطني والعلماني والمادي والاشتراكي والعالمي الوجودي إلى صفوف المسلمين باسم العلم وحرية البحث ، والنهضة والإصلاح ، والثورة على كل قديم على حساب الرابطة الإسلامية فمبدأ القومية يستهدف العنصرية ، وهي تستهدف إيجاد الصدع بين العرب والفرس والترك والهنود وهم جميعا مسلمون ، كما تهدف إلى إعلاء شأن التاريخ الإقليمي ، وفكرة العالمية تستهدف القضاء على الذاتية الإسلامية المتميزة ، وهي كثيرة ، كانت تلبس ثوب الرحمة والإنسانية وحب السلام والوئام منها : الماسونية والشيوعية والروحية والدعوة إلى التوفيق بين الأديان ، وبين الإسلام والنصرانية منها خاصة . والدعوة إلى القومية والعالمية – سارت لمعارضة الإسلام

- وأطلت رؤوس الأفكار المنحرفة بدون حاجز وبحرية كاملة ، بما يملكونه من وسائل نشر ودعاية وإعلان ووظائف عليا وحراسة فدخل الفكر القومي والوطني والعلماني والمادي والاشتراكي والعالمي الوجودي إلى صفوف المسلمين باسم العلم وحرية البحث ، والنهضة والإصلاح ، والثورة على كل قديم على حساب الرابطة الإسلامية فمبدأ القومية يستهدف العنصرية ، وهي تستهدف إيجاد الصدع بين العرب والفرس والترك والهنود وهم جميعا مسلمون ، كما تهدف إلى إعلاء شأن التاريخ الإقليمي ، وفكرة العالمية تستهدف القضاء على الذاتية الإسلامية المتميزة ، وهي كثيرة ، كانت تلبس ثوب الرحمة والإنسانية وحب السلام والوئام منها : الماسونية والشيوعية والروحية والدعوة إلى التوفيق بين الأديان ، وبين الإسلام والنصرانية منها خاصة . والدعوة إلى القومية والعالمية – سارت لمعارضة الإسلام

- **الدعوات الفكرية الهدامة**

١- **الدعوة إلى الارتماء في أحضان الغرب** ، وأخذ حضارته دون وعي ولا تمييز ، وقد ترجم هذا الاتجاه كثير من الذين تقدموا إلى الصفوف الأولى في قيادة الأمة ، بعد زوال الخلافة العثمانية ، مثل : طه حسين ، وسلامة موسى ، وقاسم أمين ، وأحمد لطفي السيد وصهره إسماعيل مظهر في مصر .

- فسلامة موسى في كتابه (اليوم والغد) ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) يرى أن مصر جزء من أوربا ، وليست جزءا من آسيا (أي من الإسلام)

- وطه حسين في كتابه مستقبل الثقافة في مصر (ظهر سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨ م) فيقول : " إن سبيل النهضة واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء وهي : أن نسيرة سيرة الأوروبيين ، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد وما يعاب.

- وقاسم أمين يقول في كتابه المرأة الجديدة ، بعد أن تحدث عن أوضاع المرأة المسلمة في مصر : " هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه ، وليس له دواء إلا أن نربي أولادنا على أن يتعرفوا شئون المدنية الغربية ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها .

٢- **احتقار الماضي الإسلامي وتربية الأجيال تربية علمانية :**

- والاتجاهات الفكرية التي حملت وزر هذا ، تلك التي دعت إلى الارتباط بالماضي التاريخي الغامض ، البعيد ، السابق على ماضيهم الإسلامي الحي ، ودعوة إحياء الحضارات القديمة ظهرت في وقت واحد في كل من تركيا ومصر والشام والعراق وشمال أفريقية وفارس والهند وأندونيسيا . يقول أحد المستشرقين : " إننا في كل بلد إسلامي دخلنا ، نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام ، ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام ، ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وتلك الحضارات .

ومن **الدعوات : الفرعونية في مصر** : التي أطلت برأسها عند غزو نابليون لمصر عام ١٨٩٧ م فقد استصحب معه بعثة علمية للتنقيب عن آثار الفراعنة ، وأنشأ معهد الآثار الفرعونية في حي المنيرة بالقاهرة وما يزال قائما مكانه إلى اليوم . فنشط دعاتها لغزو الأقطار بها وملأوا أبصار قارئي الصحف ، وأسماع شاهدي الندوات بالدعاية لها ، ورسموا رأس أبي الهول على طوابع البريد وعلى أوراق النقد واتخذه النحات محمود مختار شعارا لتمثال نهضة مصر الذي وضع نموذجه في باريس عام ١٩٢٠ م .

وأثيرت **الفينيقية** في لبنان ، **والأشورية والسومرية والبابلية** في العراق ، **والكنعانية** في فلسطين ، **والبربرية** في المغرب ، والحيثية في آسيا الصغرى ، **وماجاباهيت** الهندوكية في أندونيسيا **والفارسية** في إيران لعزل هذه الأجزاء عن بعضها والتفريق بينها تفريقا يحول دون التقائها في وحدة واحدة قوية . العبرية اليهودية في فلسطين .

عرضت **المناهج** – مناهج الدين والتاريخ الإسلامي بالذات عرضا منفرا مغرضا يجعلها على هامش المنهج الدراسي ، مما يغرس في نفوس الأطفال والتلاميذ والناشئة عامة عدم الاهتمام بهما . ويطبعهم على الاعتقاد بعدم جدواهما دراسيا . ويرسب في نفوسهم بالتالي الاستخفاف بالدين من حيث هو سلوك وعبادات ، وبالتاريخ الإسلامي من حيث هو سجل لأمجاد الأمة الإسلامية .

٣- **العمل على تطوير المعاهد الدينية** وخاصة الأزهر في مصر :

الأزهر كما نعرف أعرق المعاهد الإسلامية ، بل هو أعرق جامعة في العالم كله ، وقد استطاع بفضل الأوقاف العديدة التي وقفها عليه أغنياء المسلمين خلال عصره الطويل ، وبفضل ما كان يتمتع به علماءه من هيبة ومكانة ، أن يحمي العلوم الإسلامية والعربية بعيدة عن أن تمتد إليها يد الملوك والحكام بالتغيير والتبديل .

من أجل ذلك كله تعرض الأزهر لمقت أعداء الإسلام ، وصب اللعنات من قبل دعاة التغريب واللادينية ، حتى جعلوه رأس المشاكل الثقافية في مصر ، والعقبة ونفوذ المعاهد الإسلامية الأخرى كالقرويين في فاس ، والزيتونة في تونس – وتهوين مركزه ، حيث وقفوا في طريق علمائه ، وحالوا بينهم وبين مراكز القيادة ، ومناصب الحكم ، ووظائف الإدارة ، وأشاعوا بين الناس أنهم يهدفون إلى تكريم الدين ، على أن يكون الإسلام على حد تعبيرهم بعيدا عن السياسة ، وبمعزل عن الحكم ، فأعفوا علماء الدين من التجنيد وأسقطوا الجهاد عمن حفظ كتاب الجهاد – القرآن الكريم – فأبعد القرآن وتعاليم الدين عن المدارس والمحاكم وسائر دواوين الحكومة . وصدرت قوانين تطويع الأزهر باسم تطويره منها إلغاء القضاء الشرعي جملة وإدماج محاكمه في دوائر تابعة للمحاكم الأهلية ألغيت المحاكم الشرعية .

ورغم ذلك فقد بقيت هذه المعاهد بشيوخها وشبابها ، تحمل الفكر الإسلامي الأصيل وتواصل رسالته ، وأنشئت جامعات أخرى إسلامية تحمل الرسالة كالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، وجامعة أم القرى في مكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض . . وكلها تهدف إلى :

أ- تعليم الأمم الإسلامية المتأخرة في المعارف وهدايتها إلى أصول الدين وإلى فهم الكتاب والسنة ومعرفة الفقه الإسلامي وتاريخ الإسلام ورجاله .

ب- إثارة كنوز العلم التي خلفها علماء الإسلام في العلوم الدينية والعربية والعقلية وهي مجموعة مرتبطة بعضها ببعض وتاريخها متصل الحلقات .

ج- عرض الإسلام على الأمم غير المسلمة عرضا صحيحا في ثوب نقي خال من الغواشي المشوهة لجماله ، وخال مما أدخل وزيد فيه من الفروض المتكلفة التي يأباها الذوق ويمجها طبع اللغة العربية .

د- العمل على إزالة الفروق المذهبية ، أو تضييق شقة الخلاف بينها ، فإن الأمة في محنة من هذا التفريق ومن العصبية لهذا الفرق ودراسة أسباب الخلاف دراسة بعيدة عن التعصب تهدي إلى الحق .

هـ- تخريج الدعاة الواعين على عقيدتهم ، الواعين على أوضاع أمتهم ووسائل نهضتها ، وتحقيق الخير لها .

٤-مهاجمة اللغة العربية والدعوة إلى العامية :

- اللغة العربية اختصها الله لغة للقرآن الكريم ، وخصها مرة أخرى لتكون لغة أهل الجنة ، وخصها أيضا لغة لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم . ولذلك فقد رافقت رحلة الإسلام وانتشاره .

- وكان المسلمون يتطلعون إلى أن تأخذ الدولة العثمانية العربية لغة للدولة . غير أن التحول الذي أصاب تركيا بعد الحرب ، وتغريبها وانسلاخها من العالم الإسلامي دفعها للتخلص من الأثر العربي – فعملت على تصفية اللغة التركية من الكلمات العربية ، حيث عقد عدد من المؤتمرات التي قامت بإخراج ١٣٦٥٠ كلمة عربية .

- حلت محلها كلمات تركية وأوربية . ففقدت تركيا تراثا ضخما يتمثل في مئات المجلدات ، في الأدب والنقد والثقافة ، التي كتبت باللغة التركية العثمانية – فضلا عن أن استعمال الأتراك للحروف اللاتينية أفقدهم تصوير الأحرف المشابهة كالفاء والحاء والصاد والضاد والظاء والعين . فإن هذه الحروف لا يمكن أن تجد في اللاتينية ما يصورها بحرف واحد يقوم مقامها . ومنذ أن اتسع النفوذ الأجنبي في العالم الإسلامي واجهت اللغة العربية مقاومة بعيدة الأثر من اللغات الثلاث : الفرنسية والإنجليزية والهولندية .

- **قطع الاستعمار الغربي الطريق على توسع اللغة بين مسلمي العالم بالعمل على :**

١- - نقل كثير من اللغات إلى الحروف اللاتينية وترك الخط العربي وفي مقدمتها اللغة التركية والاندونيسية .

٢- شجع لغة محلية أو أكثر في كل بلد إسلامي غير عربي لتصبح لغات قومية . وهذا طبعا يتم على حساب اللغة العربية كالأوردية والسنسكريتية والبنغالية في الهند . واللغات المحلية في أفريقيا .

٣- توسيع نطاق لغته وجعلها اللغة الرسمية كما فعل في الهند الإسلامية وبنغلاديش وباكستان وفي غرب أفريقيا ووسطها وشرقها

- **أما في البلاد العربية** فقد عمد الاستعمار إلى **الدعوة لاستخدام العامية** والتحريض على جعلها لغة التأليف والكتابة . كما فعل في الجزائر ومصر وبلاد الشام والعراق وتونس والمغرب .

- ففي **الجزائر** – واجهت اللغة العربية محاولات خطيرة كادت هذه اللغة تمحى من الأساس محوا تاما ، حتى أتيح لجمعية العلماء الجزائرية وقادتها عبد الحميد ابن باديس – والبشير الإبراهيمي وغيرهما أن تعيد بناء اللغة العربية من خلال ثلاث مائة مدرسة أقيمت في المساجد على نحو بارع استطاع بأن يتحقق تحت مدافع الاستعمار وفوهات بنادقه . وكان لذلك أبعد الأثر في التحول التاريخي الذي شهدته الجزائر . وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الفرنسي (جاك بيرك) حين قال : " إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا .

- أما في **مصر** بلد الأزهر فقد كانت الحملة أشد . وبدأت عام ١٨٨١ م / ١٢٩٩ هـ حين اقترح المقتطف كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها الناس في حياتهم العامة وفي عام ١٩٢٦ م / ١٣٤٥ هـ دعا مهندس الري الانجليزي – السير (وليم ولكوكس) إلى هجر اللغة العربية .

- سياسة التعليم التي خططها (دنلوب) في مصر ، واتبعها المستعمرون في أرجاء العالم الإسلامي انحدر **وضع مدرس اللغة العربية** بقدر ما انحدر راتبه ، وأصبح مادة للسخرية يتحدث الناس عن جهله ، وتخلفه ، وضيق أفقه ، وفقره وانحطاط مستواه الاجتماعي والفكري وأصبح مادة للتندر في القصص والروايات والمسرحيات والأفلام ، وانعكس ذلك على الوضع المهين على اللغة التي يدرسها ، فأصبحت موضع الإزدراء ، والتحقير والنفور . . وأصبحت الشكوى مرة من صعوبة اللغة العربية ، وأصبح الإنسان يقارن ذلك بما عليه مدرس اللغة الانجليزية ، والنظرة إلى اللغة الانجليزية ! ! . وتسللت الدعوة إلى **مجمع اللغة العربية** – فظهرت في مجلته الناطقة باسمه سلسلة من المقالات عن اللهجة العربية العامة كتبها أحد أعضائه هو عيسى اسكندر المعلوف المعروف بعدائه للعربية الفصحى .

➢ **كانت الدعوات الهدامة للغة العربية تستهدف غايتين :**

أ- تفريق المسلمين ، والعرب خاصة ، بتفويقهم في الدين وفي اللغة والثقافة ، وقطع الطريق على توسع اللغة العربية المحتمل بين مسلمي العالم ، وبذلك لا تتم لهم وحدة .

ب- قطع ما بين المسلمين وبين قديمهم ، والحكم على كتابهم – القرآن الكريم – بأن يصبح أثرا ميتا كأساطير الأولين التي أصبحت حشو لفائف البردي ، أو بأن يصبح أسلوبه عتيقا باليا بتحويل أذواق الأجيال الناشئة عنه . والحكم على تراثهم كله بالموت لأ هذا القديم المشترك هو الذي يربطهم ويضم بعضهم إلى بعض .

وبقي في لبنان من يصر إلى اليوم على اللهجة اللبنانية وعلى رأسهم الشاعر سعيد عقل ، ويسمونها : اللغة اللبنانية . ووصل به التطرف إلى كتابة هذه اللغة بحروف لاتينية وله جريدة أسبوعية محدودة ..

وعلى الإجمال فاللغة العربية تهان وتنقص من عدة جهات حاليا :

١- الروايات التمثيلية التي تحكي عبارات السوقة والعقليات الجاهلية . فتحيي ألفاظا كان يجب أن تموت مكانها وتؤذي المسامع باللهجات العامية المذكورة .

٢- الزعماء الذين لا يحسنون الفصحى ويحلو لهم أن يتحدثوا إلى الجمهور ساعات طويلة . تختلط كلماتهم العربية والعامية

٣- الأشخاص الذين يقلدون المنتصر والذين ذابت شخصياتهم ذوبانا تاما ، فيرون من الري أن يكون حديثهم بأي لغة إلا العربية .

٤- ورجال المجامع الذين يرون العربية تنهار أمام ألفاظ الحضارة المحدثة ومصطلحات العلوم الكثيرة ، ومع ذلك فهم لا يحركون ساكنا مع أن العربية في خطر حقيقي .

وامتد التلاعب باللغة العربية إلى **لوائح الإعلانات** في الشوارع العامة وأسماء المحلات والمعارض التي تكتب بخطوط عريضة ومليئة بالأخطاء اللغوية ، بعد أن أقصيت من ميادين العلوم ، ولحق أدبها من تشويه وغبن في ميادين الآداب والفنون .

وفي يوم ٢٩ / ٧ / ١٤٠٨ هـ الموافق ١٧ / ٣ / ١٩٨٨ م عقد مؤتمر اللغة العربية العالمي الأول بدعوة من جمعية نشر اللغة العربية في كراتشي تحت شعار :(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) . وشارك فيه ممثلون عن تسع عشرة دولة وعدد من العلماء المهتمين باللغة العربية . واستمر مدة ثلاثة أيام . وتضمنت أعماله خمسة محاور هي : دور اللغة العربية بوضعها أداة ربط بين الدول الإسلامية و التنسيق والتعاون في تعليم اللغة العربية بالدول الإسلامية وإسهام غير العرب في نشر اللغة العربية وسائل وتقنيات مختلفة في تعليم اللغة العربية .و دور القرآن الكريم في نشر اللغة العربية بين المسلمين

٥-اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية من الغرب :

-وجدت المدارس الأجنبية في بلدان العالم الإسلامي ، وأطلق غلاة المبشرين والقساوسة وأضرابهم في وضع برامج التعليم لمدارسهم حتى أن الموضوعات العلمانية التي تعلم من كتب غربية وعلى يد مدرسين غربيين تحمل معها الآراء النصرانية .

-والواقع أن الاستعمار كان حريصا على توجيه التعليم لتخريج طائفة من المتعلمين يخدمون صالح الحكومة والشركات ، ويهدف أساسا إلى القضاء على الثقافة الإسلامية بالطعن فيها وإثارة الشكوك من حولها والشبهات في أعماقها . فسيطر على المدارس الوطنية – التي تضم عامة أبناء الأمة ممن يقدرون على التعليم – عن طريق رجاله وعملائه الذين تولوا وضع المناهج الجديدة والسهر على تنفيذها وخدمة أغراضها القريبة والبعيدة كالخطة التي رسمها كرومر.

الخطة التي رسمها كرومر في مصر ونفذها القس الإنجليزي دنلوب وتلاميذه من بعده ، ولا تزال لها آثار وذيول سيئة تطبع بعض جوانب التعليم المصري ومقلديه في العالم العربي المسلم . فقد استطاع أن ينزع من برامج التعليم الدين وروح الأدب العربي وتاريخ الإسلام وصلة مصر بالعرب والعربية ثم أدخل في برامج المدارس أن مصر فرعونية . وفي كل وحدات العالم الإسلامي نجد الهدف نفسه قد أعد بصورة أخرى ففي الهند الإسلامية يحاول التعليم التركيز على الحضارات الوثنية ، وفي تركيا يجري الاهتمام بالتاريخ الطوراني وأمجاد جنكيز خان . وفي اندونيسيا يركز على تاريخ ما قبل الإسلام وكلها محاولات للقضاء على العوامل الجامعة للعالم الإسلامي .

وحرص النفوذ الاستعماري أن يجعل من جامعاته ومعاهده مصدرا لتخريج القادة والحكام في العالم الإسلامي .

فعين اللورد كرومر أول معتمد بريطاني على مصر (المستر دنلوب) القسيس المبشر مستشارا لوزارة المعارف المصرية . فكان في يده السلطة الفعلية الكاملة ، ففتح مدارس جديدة تعلم العلوم الدنيوية مهملة الدين ، ويعين خريجوها في دواوين الحكومة . وأما خريج الأزهر فكان لا يجد عملا ، وإذا وحده ففي إقامة الشعائر في المسجد ، وفرق في الراتب بين كبير بينهما .

كان التعليم الحديث علمانيا منذ البداية ، وتعدى الأمر المناهج إلى أسلوب التربية وفلسفة السلوك فقد طبق الاختلاط بين الذكور والإناث في معظم جامعات العالم الإسلامي ، وأدخلت التقاليد الغربية المنافية للإسلام في صلب النظام الجامعي .

وأخطر من هذا أن المناهج تقوم بنصب مثل عليا جديدة أمام أجيال المتعلمين المسلمين فتعرض لهم تاريخ أوربا وحياة أبطالها وعلمائها

- استيراد المذاهب اللادينية في الفكر والأدب :

كان من أخطر الأدوات العصرية التي اعتمد أعداء الإسلام عليها **الصحافة** باعتبارها أكثر شيوعا وأبعد تأثيرا سواء كانت محلية أو مستوردة مجلوبة من وراء البحار والحدود ، تحمل للمسلمين قيما جديدة وتحفل بضروب من الأفكار المخربة وأحاديث الجنس الفاضحة والصور العارية والقصص البذيئة والمقالات والبحوث التي تتناول كثيرا من المقدسات بالنقد والتجريح في غير ما حرج .

وليس من قبيل الصدف أن تنشأ الصحافة في بلاد الإسلام على يد **النصارى** ففي مصر قلب العالم الإسلامي نشأت الصحافة على يد الموارنة النصارى ، فدار الأهرام لآل تقلا ، ودار الهلال لآل زيدان ودار المقطم لآل صروف . وازدهرت هذه بحماية الحراب الانجليزية وعاثت فسادا وتشويها لكل القيم في ظل الاحتلال

بالصحافة سارت النهضة الفكرية والأدبية الحديثة مسارا غريبا حتى آل الأمر إلى الواقع الفكري والأدبي المعاصر ، فنقلت الدارونية والفرويدية إلى مجال الأدب ، بطريق الترجمة أولا ثم الدراسة المستفيضة ، كما استورد المسلمون المذاهب الفكرية الحديثة مثل الإلحاد والشك واللاأدرية واللامعقول . . فعملوا بذلك على تفريغ الكلمة العربية والحرف العربي من مدلوله ومعناه باسم الرمزية وباسم العقل الباطن وباسم القاموس الخاص بالمفكر أو الأديب وتعرض الأدب إلى ظاهرة التقسيم والتجزيء .

واستمرت أفكار الغرب المنحرفة تظهر في الأدب العربي من إسماعيل مظهر إلى لطفي السيد ومنصور فهمي وأمينا الخولي وطه حسين إلى صادق جلال العظم . تخفى بعضهم تحت أقنعة البحث العلمي أو التمذهب الأدبي وبعضهم هاجم مشاعر المسلمين وعقيدتهم بكل جرأة وصراحة

وكان من نتيجة شيوع هذه الأفكار في الفكر والشعر والصحافة التمهيد لانتشار الأفكار المادية ولا سيما الشيوعية وتغذيتها بروح الشك العام في كل شيء تقريبا حتى أصبح الشباب المتعلم في العالم الإسلامي فريسة الشكوك القاتل والوساوس الشيطانية فانتظم كثير منهم في صفوف المنظمات اليسارية أو القومية وغيرهما من الأحزاب اللادينية لا سيما بعد الحرب العالمية الثانية حتى أصبحت الاشتراكية موضة العصر كما يقولون .

فبعد نجاح الثورة البلشفية في روسيا عام ١٩١٧ م / ١٣٣٦ هـ تحولت للاهتمام بالشرق وأسست الأممية الثالثة عام ١٩١٩ م / ١٣٣٨ هـ وهو التاريخ الذي اتخذ منه اليساري اللبناني يوسف يزبك تقويما جديدا محل التاريخين الميلادي والهجري . وقد انحصرت الأفكار الشيوعية قبل ذلك في نطاق العلمانيين النصارى .

وقد أسهمت وسائل الإعلام – من صحافة وتلفزيون وإذاعة ومسرح التي يدير معظمها أناس علمانيون – إسهاما قويا في تنمية الاتجاه الإباحي في الفكر وتعميمه وبالتالي في هبوط الأدب أسلوبا ومضمونا كما في كتابات إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ وشيعتهما نثرا وأعمال نزار قباني وزمرته شعرا .

وظهرت شعارات علمانية تطالب بفصل الأدب عن الدين بل عن الأخلاق ، فنجد شعارات : الفن للفن ، الأدب غير الملتزم ، والأدب للشعب ، والأدب للواقع . . ومن الذين نادوا بفصل الأدب عن القيم الدينية سلامة موسى . ورغم هذه الأعراض الفكرية التي غلبت على واقع المسلمين اليوم ، إلا أن الفكر الإسلامي الأصيل بقي حيا وشق طريقه في أوساط الأمة بأصالته حتى اضطر أصحاب الأباطيل أن يغيروا وأن يبدلوا في أساليبهم بل أن ينحنوا في كثير من الأوقات.